سفير أفغانستان يتحدث عن التصوف والصوفية

.. فى قلب آسيا ، فى أجمل بقعة من بقاع الدنيا ، حيث الممرات التاريخية الى الهند وباكستان ، وحيث الطرق الصاعدة الى أعماق القارة الكبيرة ، تقوم أفغانستان بسهولها وجبالها ووديانها وعيونها التى يصفها المؤرخ الكبير « البيرونى » : بأنها جنة الدنيا ، وبأنها أرض الصالحين .

أفغانستان ذلك البلد الاسلامى الكبير العريق الذى أنجب أئمة التصوف وكبار العلماء ، كما أنجب القواد والفاتحين ، ذلك البلد القوى الباسل الذى صمد أمام الغزو الأوروبى ، وثبت أمام الزحوف العالمية ، فعاش حرا أبيا طوال حياته ، لم تذل هامته ، ولم تستعبد أرضه .. وعاش الاستعمار على حدوده قرونا ، يرنو اليه فى جشع وحقد ، ثم تعجز مخالبه ، وتعجز أنيابه عن افتراسه واستعماره .

عرفت أفغانستان فى التاريخ القديم باسم « خراسان » حيث يقول الداعية الهاشمى الكبير ، لأبى مسلم الخراسانى مؤسس الدولة العباسية وهو يصف له خصائص الأمم ، ويصور له مميزات الشعوب : « عليك بخراسان فهناك الرجال العظام والايمان القوى . والبطولة والفداء والسمح والطاعة والوحدة والجماعة » .

ومن أفغانستان . أو من خراسان خرجت الرايات السوداء شعار العباسيين ، لتزيل ملك بنى أمية ولتقيم على أنقاضه دولة العباسيين العالمية . وأفغانستان لا تزال الى يومنا تعيش الحياة الاسلامية الكاملة ، للدين فيها الكلمة العليا ، وللآداب والتقاليد الاسلامية القداسة والاجلال والاحترام الكامل .

وللطرق الصوفية هناك النفوذ الكبير ، والسلطان العظيم ، والكلمة التى تنحنى لها الجباه ، وتستجيب لها القلوب ، ولا يزال طلاب العلم فى أفغانستان لا يسمح لهم بالحديث العلمى الا بعد أن يجيزهم ، عالم صوفى ، أو شيخ صوفى .

وسفير أفغانستان الذى يعيش بيننا اليوم هو سيادة الأستاذ صلاح

الدين السلجوقى ، صورة كاملة مشرفة للسفير المسلم فى ثقافته وخلقه وأدبه وسلوكه .

تحدثت اليه باسم « مجلة الاسلام والتصوف » فأبدى سروره اذ يرى فى مصر البلد الاسلامى القائد الذى تتجه اليه أنظار العالم الاسلامى كافة ، صحيفة صوفية اسلامية ترشد الناس الى الآداب الصوفية ، والتربيـــة الصوفية ، والمعرفة الصوفية ، ثم قال :

ان أفغانستان هى بلد التاريخ الاسلامى ، فكل عظماء الفرس السابقين وعلمائهم ومتصوفيهم ، كانوا من أبناء أفغانستان ، ولقد نشأت مدارس التصوف الاسلامى الكبرى من عندنا ، وسهمت عقولنا فى تكوين الصورة النهائية للمعارف الصوفية .

ولا تزال أفغانستان تفيض بالطرق الصوفية ، كالقادرية والنقشبندية وغيرهما ، ولا يزال للطرق الصوفية لدينا المقام الأول ، ولا تزال الجماهير عندنا ترنو بأبصارها الى رجال الطرق الصوفية فى اجلال واحترام وطاعة وثقة مطلقة .

والطرق هى المدارس الصوفية الأولية ، ثم تأتى بعد ذلك رسالة المعرفة وهو لصفوة ممتازة معدة لهذه الرسالة ، ولهذه المعرفة .

والتصوف فى صورته الكاملة لدى سيادة السفير ، هو فكرة وحـدة الوجود ، تلك الفكرة الايمانية الجليلة ، بل تلك العقيدة التى يؤمن بها كل مفكر عميق التفكير ، وكل مؤمن عميق الايمان .

فالله سبحانه ، هو الأول والآخر ، وهو الظاهر والباطن : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى : وأينما تولوا فثم وجه الله .

ولكن هذه الوحدة ذات المدلول العالى،والتوحيد المجرد ، تفسد اذا هبطت الى أذهان العامة ، أو مشت الى ألسنتهم وجدلهم ، انها فكرة نورانية تحتاج الى عقول منيرة ، وقلوب مؤمنة ، وأحاسيس حية ، جياشة بالحب الالهى .

انها حين تستقر بحقائقها وأذواقها والهاماتها فى القلوب ، تعطى صاحبها ايمانا ثابتا لا يتزلزل ، وعقيدة حية مبصرة لا تتحول ، أو كما يقول الامام الغزالى : « الايمان الذى لو رأى صاحبه حقائق الأشياء تنقلب ، ما غير ذلك من ايمانه ولا نال من عقيدته » .

والتصوف رسالة فى الأخلاق تنجب الخلق المثالى العالى ، الذى كان ولا يزال الهدف الأول لكل دين ولكل مبدأ من مبادىء الفكر والفلسفة .

والتصوف منهج فى التربية الروحية لا يزال وسيبقى الطريق الأكبر لكل متجه الى الله ، وسائر الى حبه ورضاه .

والتصوف قمة فى المعرفة ، أو قمة فى الحكمة لا تزال هى القمة التى ينشدها كل متشوق الى الوصول ، فتعجزه ، ولا تبيح حماها الا للصوفى المحب الفانى ، الذى جعل الله سبحانه غاية ، كما هو بداية ، أو كما يقول القرآن العظيم : « انا لله وانا اليه راجعون » وهو معنى يقوله العامة بفطرتهم عند الموت ، ويقوله العلماء بالله ، عندما تذوق الحقائق ، وعند مطالع الكشف ، ومشارق الوصول .

الصوفية ...

« ... انى علمت يقينا أن الصوفية ، هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة . وان سيرتهم أحسن السير ، واخلاقهم أزكى الأخلاق ، فان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة

وماذا يقول القائلون فى طريقة ، طهارتها وأول شروطها تطهير القلب عما سوى الله ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية فى ذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية فى الله »

فقيد كريم

انتقل الى رحمة الله الاستاذ المهندس عبد الرحمن السيد البوهى شقيق الاستاذ لبيب البوهى الكاتب الاسلامى المعروف .. تغمده الله برحمته وألهم آله الصبر والعزاء .